

## الحلقة الرابعة والثمانون

## سفر الأمثال

## برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن الأمثال التي كتبها أجور ابن متقيّة مسّا. وقد تأملنا في اللقاء السابق بأربعة حشرات صغيرة لكنها في نفس الوقت حكيمة جداً. وهي النمل، والجراد، والعنكبوت، والوبار. فالنمل تعطي درساً للكسلان، والجراد والعنكبوت يعملان بشكل منظم وباتحاد، والوبار يتحلّى بالحكمة.

مستمعي الكريم، كنا ذكرنا سابقاً أن أجور الحكيم تحدّث بأمثال يحتوي كل منها على أربع حالات أو أمور. ولقد تأملنا سابقاً بأربعة أصناف من الناس، وأربعة أشياء لا تشعب وأربعة أشياء عجيبة، وأربع حشرات حكيمة. وفي لقاء اليوم سنتحدث عن أربعة أمور لا تُحتمل.

كتب أجور الحكيم قائلاً: "تحت ثلاثة تضطرب الأرض وأربعة لا تستطيع احتمالها. تحت عبد إذا ملك وأحمق إذا شبع خبزاً، تحت شنيعة إذا تزوّجت، وأمة إذا ورثت سيديتها". (أمثال ٣٠: ٢١-٢٣) فماذا قصد أجور بهذا المثل البليغ يا ترى؟

أراد أجور الحكيم القول إن هناك أموراً في الحياة تضطرب الأرض بحصولها. أي يضطرب المجتمع من حدوثها. أول هذه الأمور هي أن يملك العبد، أو الإنسان البسيط العامي، الذي ليس لديه خبرة في شؤون الحياة. لأن تسلّط هذا الإنسان سيُجلب الخراب والدمار على البلاد.

وثاني هذه الأمور التي يضطرب المجتمع بسببها، هي الأحمق أي الجاهل، عندما يشبع خبزاً. إذ عندما يشبع الجاهل، يظن أنه بمهارته قد أشبع نفسه. وعندئذ يعتريه البطر، أي الجحود بنعم الله وبركاته، ويبدأ يسيء إلى الآخرين، وينظر لهم بازدراء واحتقار.

والأمر الثالث الذي يضطرب المجتمع بسببه، فهو زواج الفتاة البشعة من شاب وسيم وغني. إذ تأخذها الكبرياء، فتتسلط على الناس من حولها، وتسيء إلى زوجها وسمعتة بين الآخرين. ويصبح من الصعب جداً وضع حد لها.

أما الأمر الرابع والأخير فهو الذي لا نستطيع كبشر احتمالاه أو قبوله فهو أمة، أي خادمة تراث سيدتها. إن الخادمة تبقى خادمة لا يحق لها أن تراث سيدتها. لكن عندما تسمح الظروف لها بأن تراثها، فهناك تكون المصيبة. إذ تفسد كل شيء بتصرفاتها الحمقاء، وبأخذها قرارات غير صائبة.

إن فحوى هذا المثل مستمعي في الأربع حالات التي ذكرها، أنه علينا أن لا نتجاوز حقائق الحياة وقوانين المجتمع. فما هو متفق عليه في المجتمع من الصعب تجاوزه. وهذا يؤكد أننا كبشر لا نستطيع القفز على منطق الحياة، وقوانين المجتمع.

قبل أن يقدم نصيحته الختامية، تحدث أجور الحكيم عن أربعة مخلوقات حسنة أو جليظة في سيرها، فقال: "ثلاثة جليظة في خطوها، وأربعة وقور في تحركها: الليث جبار الوحوش، الذي لا يتراجع أمام أحد، والطاووس المختال، والتيس، والملك في طليعة جيشه". (أمثال ٣٠: ٢٩-٣١) إن الليث هو الأسد زعيم الغابة، الذي يمشي بكل جلال ووقار، ولا يستطيع أحد أن يعرقل سيره. والطاووس يختال مزهواً معجباً بنفسه. وكذلك التيس الذي مع كونه تيساً، إلا أنه يتباهى بقرونه بين القطيع، فيسير بكل فخر وتؤدة. أما الملك الذي يقود جيشه، فهو يسير بموكب بهي رافع الرأس.

لكن، ماذا أراد أجور الحكيم تعليمنا من هذه الأمثلة الحيّة يا ترى؟ أراد تعليمنا: أن على الإنسان أن يسلك في مسيرته بالحياة، بكل تهذيب ووقار وحكمة. وأن لا يسمح لنفسه بأن يقع في الشر أو في أية أعمال شريرة. وعندها يسير في المجتمع مرفوع الرأس. ولقد تحدثت كلمة الله كثيراً عن أهمية سلوك الإنسان السوي، ودعته لكي يسلك بالاستقامة. وأن يكون مثاله المخلص يسوع المسيح، الذي كان مثلاً في المحبة والتضحية والتواضع واللفظ والوداعة وطول الأناة. فهل تراك مستمعي تؤمن بالمخلص المسيح، فتتال كل هذه الصفات الإيجابية؟

ختم أجور الحكيم أمثاله بهذه النصيحة فقال: "إن حمقت بالترفع - أي انتابك الحُمقُ فاعتزرت بنفسك، وإن تآمرت - أي شرعت في تدبير المكائد - فضع يدك على فمك. لأن عصر اللبّن يُخرج جبناً، وعصر الأنف يُخرج دماً، وعصر الغضب يُخرج خصاماً. أي أن إثارة الغضب يولّد الخصام. إن الغرور بالنفس هو من أسوأ الأمور التي قد تصيب الإنسان. وكذلك التأمر على الآخرين، والسعي لتدبير المكائد لهم. فالغرور بالنفس وتدبير المكائد لن ينتج عنهما سوى إثارة الخصام. فكما أن عصر اللبّن أو الحليب يُنتج جبناً أو زبدة، وعصر الأنف يُخرج دماً، هكذا إثارة الغضب سيولّد الخصام.

ولهذا دعا الحكيم هنا من يقوم بمثل هذه الأعمال أن يضع يده على فمه، أي يقر بأنه مذنب، وأن يحاسب نفسه على ما قام به. لأن متابعة مثل هكذا أعمال شريرة لن ينتج عنها سوى الخصام. ودعا الإنسان بشكل عام ، أن يتجنب الخصام إذا عرف الضرر الناتج عنه. هل تتجنب الخصام مستمعي؟ وهل تسعى للسلام مع الآخرين؟

كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: "لا تكونوا حكماء عند أنفسكم. لا تجازوا أحداً عن شر بشر. معتنين بأمر حسنة قدام جميع الناس. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس". (رومية ١٢:١٦ب-١٨) أي دعا الرسول بولس المؤمنين بالمسيح كما دعا أجور الحكيم: أن لا يكونوا مغرورين بأنفسهم، ولا يدبروا المكائد للآخرين، حتى ولو أساءوا إليهم. وطلب منهم أن يتصرفوا بطريقة لائقة وحسنة أمام جميع الناس. لابل حثهم أن يسالموا قدر إمكانياتهم جميع الناس، أي يعملوا لكي يتجنبوا الخصام.

ألا تود مستمعي أن تبعد نفسك عن الغرور؟ وأن لا تتأمر على الآخرين؟ وأن تتجنب الخصام؟ وتحل السلام؟ لقد أتى المخلص المسيح لهذا الغرض بالذات، أي لكي يجعلك إنساناً جديداً قادراً على فعل السلوك الصحيح. فهل تراك تؤمن بهذا المخلص الفريد؟